

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثانية - العدد السابع - خريف ١٣٩١ش / أيلول ٢٠١٢م

## دراسة نقدية في حياة أبي الفرج الإصفهاني وكتابه الأغاني

حسن دادخواه\*

محمد حسن زاده\*\*

### الملخص

أبو الفرج الإصفهاني من كبار العلماء وأعيان الأدباء في القرن الثالث الهجري، وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير. تطرقتنا في هذا المقال إلى حياته العلمية والثقافية ودرسنا شخصيته بما فيها من الغموض؛ إذ نراه ينتمي إلى التشيع مع أنه أمويّ النسب، وعرضنا بعض ما وصل إلينا من آراء العلماء حول شخصيته. ورأينا أنه رغم غزارته العلمية والأدبية لا يخلو من بعض الإساءات والهفوات. وعمدنا إلى كتابه الأغاني، ذلك الكتاب الشهير الذي اعتبر من أهم مصادر في اللغة العربية وتاريخها والذي يغلب عليه صحة النقل؛ فعالجناه وعثرنا على بعض الأخطاء والروايات الضعيفة.

واعترف الكثير من العلماء بمكانة أبي الفرج العلمية والأدبية؛ وكتابه الأغاني يعتبر موسوعة أدبية وتاريخية؛ إذ يحمل بين دفتيه ترجمة لحياة معظم الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين، كما يتضمن بعض الأحداث التاريخية.

الكلمات الدلالية: أبو الفرج الإصفهاني، الأغاني، الشعر، الأدب.

\*. أستاذ مشارك بجامعة الشهيد چمران في أهواز، إيران. Dadkhah1340@yahoo.com

\*\*مدرس اللغة العربية في دائرة التربية والتعليم في مدينة أهواز، إيران.

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هادي نظري منظم

تاريخ القبول: ١٣٩١/٨/٢٤ هـ. ش

تاريخ الوصول: ١٣٩١/٢/١ هـ. ش

## المقدمة

نرى على مدى العصور، الكثير من كبار العلماء قد أحاطت بهم الغموض والتعقيد، فهذا أبو فرج الإصفهاني أحد كبار العلماء في العصر العباسي قد تضاربت الآراء في شخصيته ومكانته العلمية والأدبية وقد تعرّض من قبل بعض العلماء لشيء من الإساءة. فقد أُلّف كتاباً ضخماً وأطلق عليه اسم «الأغاني» الذي اشتهر به وذاع صيته في العالم وقد استحسّنه وأعجب به الكثير من العلماء كأمثال ابن خلدون وغيرهم.

وقد وجدنا في حياة أبي الفرج الإصفهاني بعض الغموض والتعقيد، ثمّ في كتابه الأغاني بعض الأخطاء والروايات الضعيفة، وأوردنا آراء العلماء المختلفة في هذا المجال؛ ولايسعنا دراسة وتقييم هذه الآراء بما فيها من الصعوبة وقد نكفينا بذكرها ونعتبرها نقطة إيجابية في حياة أبي الفرج الإصفهاني تدلّ على مكانته العلمية والأدبية التي لفتت أنظار الكثير من العلماء والأدباء في الشرق؛ فقد كان لأدبه وعلمه طابع إيجابي وصدى واسع في عصره.

## أهمية البحث ومنهجه

البحث عن زوايا من حياة أبي الفرج الإصفهاني الغامضة وإلقاء الضوء على أعماله العلمية والأدبية هو ما نتطرّق إليه في هذا المقال. أبو الفرج الإصفهاني من أكبر علماء عصره وزمانه، وقد امتاز بكتابه الأغاني، وقد بذلنا جهدنا في دراسة شخصية هذا الأديب والتعرّف على آثاره وأعماله، وكشفنا عن بعض الغموض في حياته.

وبدأنا في المقال بدراسة حياة أبي الفرج العلمية والأدبية والثقافية، ثمّ درسنا شخصيته وأقوال الآخرين عنه، كما حاولنا أن نلقى ضوءاً على جوانب من شخصيته، ثمّ تطرّقنا إلى كتاب الأغاني وحاولنا أن نبيّن أهميته من الناحية الأدبية والعلمية، ثمّ درسنا بعض الأخطاء والروايات الضعيفة التي أوردتها الإصفهاني في هذا الكتاب. وفي الأخير قدّمنا نتيجة البحث للقارئ الكريم.

## حياته ونسبه

أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصبهاني أو الإصفهاني، كان مولده في أصفهان

من مدن إيران، إستناداً إلى لقبه الذي عرف به واشتهر، ويقال إنه بغدادى المنشأ والمسكن وينتهى نسبه إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وكانت ولادته سنة ٢٨٤ق في خلافة المعتضد بالله.

نشأ أبو الفرج في أسرة حريصة على طلب العلم والثقافة؛ فكان جدّه محمد بن أحمد الإصفهاني من كبار الرّجال في سامراء وكان له صلة وثيقة بالوزراء والأدباء والكتّاب، ووالده الحسين بن محمد يقطن بغداد ويحرص على طلب العلم والثقافة الشّائعة في عصره، وكذلك كان عمّه الحسن بن محمد من كبار الكتاب في عصر المتوكّل العباسي. (الأغاني، ١٩٧٠م: ٧/١٣٣)

فنيح في العلم والفقه والتّاريخ واللغة وتلمذ عند كثير من الشيوخ الكبار في كوفة من أمثال: مطين بن أيوب، والحسين بن الطيب الشجاعى، ومحمد بن الحسين الكندى مؤدّبهم في الكوفة وغيرهم. ثمّ سكن بغداد وقد اتخذ سبيل التعلّم بمساعدة علماء بغداد الذين كانت تمتلىء بهم المساجد وأبرزهم: أبوبكر بن دريد، وكان إماماً في الأدب والشعر واللغة والأنساب، والفضل بن حباب الجمحي، وعلى بن سليمان الأخفش، والنفطويه النحويّ الشهير، ومحمد بن جرير الطبري المؤرخ والمفسّر والفقيه، وعنه روى أبو الفرج الأصفهاني معظم أخبار العرب القديمة ومغازى الرّسول (ص) وأشعار الشعراء الدعوة الإسلامية. (ياقوت الحموي، ١٩٨٠م: ١٣/٩٥)

وبعد أن تخرّج على أيدي كثير من علماء بغداد والكوفة وأدبائهما، أخذ الإصفهاني يعقد حلقات دراسية، ولازمه كثير من المحدثين والأدباء والشعراء. ومن أشهر تلامذته الإمام الدّار قطنى، ويحيى بن مالك الأندلسي، وأبو الحسين على بن محمد، وإبراهيم بن مخلّد الباقرجي، وعلى بن أحمد الرزّاز وغيرهم. (الأصمعي، ١٩٥٠م: ٧٢-٧٠) توفّي الإصفهاني سنة ٣٥٦ق وقيل إنه خولط في عقله قبل موته.

### حياته العلميّة والثقافية

يعتبر الإصفهاني من أكبر أدباء العرب، وهو عالم بأيام الناس والأنساب والسّير، كما أنّه يشاهد الأحداث في عصره، إذ كان يتنقل في حياته بين ثلاث مدن كبرى: إصفهان، والكوفة ثمّ بغداد وسمع الكثير من الأخبار والقصص والمرويات خلال حياته

التي امتدّت زهاء ثمانين سنة.

اتّصل الإصفهاني بوزير البويهيين الحسن بن محمّد المهلبى وحظى عنده وهذه الصّلة أثر كبير في حياته العلمية، كما كان للوزير مجلس كبير يشارك فيه الكثير من العلماء والأدباء من أمثال أبي القاسم التنوخي وأبي إسحاق الصّابي، والشاعر الكبير أبي الطيّب المتنبي. وكان أبو الفرج في رأس هذا المجلس. (ياقوت الحموي، ١٩٨٠م:

١٠٨/١٣ و ١٠٩)

تشير المصادر التاريخية إلى أنّ لأبي الفرج صلوات بملوك الأندلس من بني أميّة، وكان يؤلّف لهم الكتب ويرسلها إليهم؛ فمن ذلك كتاب نسب بني عبد شمس، وكتاب أيام العرب ألف وسبعمئة يوم، والتعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثاليها، وجمهرة النسب، ونسب بني شيبان، ونسب المهالبة، ونسب بني تغلب، ونسب بني كلاب، والغلمان المغنون و... (المصدر نفسه: ١٠٩/١٣)

وكانت له صداقة مع الوزير المهلبى قبل أن يتولّى منصب الوزارة، وبعد انتصابه وزيراً عملاً كنديم في بلاط المهلبيين، يؤنسون به ويتمتعون بأخباره ونوادره وحكاياته. وله مدائح في الوزير المهلبى؛ من ذلك قوله:

ولما انتجعنا لائذين بظّله      أعانَ وعنى ومنّ وما منّا  
وردنا عليه مقترين فراشنا      ورُدنا نداءً مجدبين فأخصبنا

(ابن خلّكان، ١٩٩٤م: ٣/٣٠٨)

ثمّ صار الإصفهاني كاتباً في ديوان ركن الدولة، ونال عنده حظوة ومكانة عالية. ومع أنّه كان يسعى أن ينال رعاية الوزير ابن العميد، لكنّه أخفق في ذلك. وكان بينه وبين السّيرافي النحويّ تنافس. يقول أبو الفرج في ردّ السّيرافي:

لستُ صدراً ولا قرأتُ على صد      ر ولا علمك البكى بشافى  
لعن الله كلّ نحو وشعر      وعروض يجيء من سيرافى

وكانت بين الإصفهاني والوزير أبي عبد الله البريدى سوء علاقة، وهجاه الإصفهاني بقصيدة طويلة تزيد على مائة بيت عندما ولّاه الرّاضى بالله الوزارة:

يا سماء اسقطي ويا أرض ميدي  
قد تولى الوزارة ابن البريدي  
جلّ خطب وحلّ أمر عضال  
وبلاء أشاب رأس الوليد

(ياقوت الحموي، ١٩٨٠م: ١٣/١٠٣)

قد ألف الإصهاني كتباً كثيرة يبلغ عددها ثلاثين، منها كتاب مقاتل الطالبين، وهو من مؤلفاته الأولى، ومناجيب الحصيان، وكتاب التعديل والانتصاف، وأخبار القيان، والإماء الشواعر، والمماليك الشعراء، وأدب الغرباء، والأخبار النوادر، وأدب السماع، وأخبار الطفيليين، والخمّارين والخمّارات، وأخبار جحظة البرامكة.

وكتابه الشهير الأغاني، وهو الذي اشتهر بسببه وذاع صيته. يقال إنه جمعه في خمسين سنةً وقدمه للوزير المهلبى وحمله إلى سيف الدولة بن حمدان، فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه. يعتبر هذا الكتاب من أمّهات الكتب في الأدب ومن المصادر الأولى لمن يكتب عن الأدب العربي. يتضمّن الأغاني التّراجم وأخبار الشعراء والمغنين وبعض الأعلام والأدباء، كما يتضمّن بعض الأحداث التاريخية التي أثّرت في التاريخ العربي قبل الإسلام وبعده. ويعتبر أيضاً موسوعة جامعة شاملة. قال عنه ابن خلدون في مقدّمته: جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم، وأنسابهم، ودولهم، وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرّشيد. (ابن خلدون، ١٩٠٠م: ٥٥٤) اعتبره ابن خلدون ديوان العرب. (المصدر نفسه: ٥٧٣)

#### شخصيته

يرجع نسب أبي الفرج إلى بنى أميّة، لكنّه كان يتشيع؛ ومع أنّ العلماء والمؤرخين قد اجتمعوا على سعة علمه، وكثرة محفوظه، وجودة شعره، وكثرة تأليفه، يقول القاضي أبو علي التّنوخى أحد معاصريه: «ومن رواة المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني، فإنّه كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنّسب ما لم أر قطّ من يحفظ مثله، وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء ويحفظ دون ما يحفظ منها علوماً أخرى منها: اللغة والنحو والحرفات والسّير والمغازي، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً، مثل علم الجوارح والبيطرة وتنف من الطب

والنجوم والأشربة وغير ذلك، وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء الشعراء.»  
 (الخطيب البغدادي، لاتا: ٣٩٩/١١) ثم إنّه كانت له رحمة وألفة بصنوف الحيوان، يأنس  
 بصحبتها، ويعالجها إذا أصابتها علة، ويأسى لموتها، وقد أثرت عنه أبيات رقيقة في رثاء  
 ديك له مات:

أبكى إذا أبصرت ربعك موحشا      بتحنن وتأسف وشهيق  
 ويزيدنى جزعا لفقذك صادح      فى منزل دان إلى لصيق  
 فتأسفى أبداً عليك مواصل      بسواد ليل أو بياض شروق

لكنّه لا يعتنى بمظهره، ويبدو وسخاً قذراً دائماً، وكان الناس يتقون هجاءه، كما ورد  
 فى كتاب معجم الأدباء: «كان أبو الفرج الإصفهاني صاحب كتاب الأغاني ... وسخاً  
 قذراً، ولم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى أن قطعه ... وكان الناس على ذلك العهد يحذرون  
 لسانه، ويتقون هجاءه ويصبرون على مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته وعلى كل  
 صعب من أمره لأنّه كان وسخاً فى نفسه ثمّ فى ثوبه وفعله حتّى إنّه لم يكن ينزع دراعة إلا  
 بعد إبلائها وتقطيعها ولا يعرف لشيء من ثيابه غسلًا ولا يطلب منه فى مدّة بقائه عوضاً.»  
 (ياقوت الحموى، ١٩٨٠م: ٦١/٥)

ويقول ابن الجوزى عن شخصية أبى الفرج: «... ومثله لا يوثق برواياته، يصرّح فى  
 كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهون شرب الخمر، وربّما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل  
 كتاب الأغاني رأى كلّ قبيح ومنكر.» (ابن الجوزى، ١٣٥٨ق: ٤٠/٧)  
 ويعتقد بعض العلماء أنّ أبى الفرج كان أكذب الناس. فقد أورد الخطيب البغدادي  
 أنّ أبى محمّد الحسن بن الحسين ابن النوبختى كان يقول: «كان أبو الفرج الإصفهاني  
 أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصّحف ثمّ تكون كلّ روايته منها.» (الخطيب  
 البغدادي، لاتا: ٣٩٨ / ١١)

### غموض شخصية الإصفهاني

تباينت الآراء وتضاربت الأفكار حول شخصية أبى الفرج الإصفهاني، فالعلماء  
 معظمهم يتفقون على مكانته الثقافية والعلمية ولكن يختلفون فى قيمته الذاتية، يرى

التعالبي أنه كان من أعيان الأدباء، ويرى ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان أنه روى عن علماء يطول تعدادهم فكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير، ويروى التتوخي قوله فيه أنه كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب. وسبق أن أوردنا أن أبا الفرج الإصفهاني أموي النسب، جدّه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، ونرى في أقوال الكثير من العلماء أنه من المتشيعين، فهنا نرى شخصية بالغة التعقيد؛ أهو أمويّ كان يدعى التّشيع؟!

ويقول الذهبي في السير: «والعجب أنه أمويّ شيعي. قال ابن أبي الفوارس: خلط قبل موته. قلت: لا بأس به.» (الذهبي، لاتا: ٢٠٢/١١) وقال أيضاً في تاريخ الإسلام: «روى عن طائفة كثيرة، وكان إخبارياً نساباً شاعراً ظاهر التّشيع... وهذا عجيب إذ هو مرواني يتشيع.» (الذهبي، لاتا، ١٤٤)

بغض النظر عمّا يقال عن غموض شخصية الإصفهاني، فنحن نرى في كتاب الأغاني روايات شنيعة نسبها إلى آل البيت عليهم السلام وهو لايبالي أن يطعن فيهم ويجرح سيرتهم. فكيف يمكن أن نعدّه متشيعاً؟

ذكر ابن نديم أن الإصفهاني كانت أمّه تنتمي إلى آل ثوابة، وهي أسرة مسيحية اعتنقت الإسلام، والتزمت بالتّشيع وهم عرفوا في عصرهم بالكتابة والأدب والشعر، فمن هنا يبدو أن الإصفهاني أخذ التّشيع عن أمّه وأيضاً لنشأته في الكوفة أثر كبير في تشييعه. (ابن النديم، لاتا: ١٦٦-١٦٧) نرى إذن تشييعه سطحياً.

### آراء العلماء في أبي الفرج

ولنذكر هنا بعض أقوال العلماء والأعلام حول أبي الفرج الإصفهاني:

قال هلال بن المحسن الصابي: «كان أبو الفرج الإصفهاني وسخاً قذراً، ولم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى أن قطعه، وكان الناس على ذلك يحذرون لسانه، ويتقون هجاءه، ويصبرون على مجالسته، ومعاشرته، ومؤاكلته، ومشاربته وعلى كلّ صعب من أمره، لأنّه كان وسخاً في نفسه، ثمّ في ثوبه، وفعله...» (ياقوت الحموي، ١٩٨٠م: ١٣/١٠٠)

وذكر الخطيب البغدادي في تاريخه: «حدّثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طباطبا

العلويّ، قال: سمعت أبا محمد الحسن بن الحسين بن النوبختي كان يقول: كان أبو الفرج الإصهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها.» (الخطيب البغدادي، لاتا: ٣٩٨/١١)

وقال العلامة ابن الجوزي: «... ومثله لا يوثق بروايته، فإنه يصرّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهون شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني، رأى كل قبيح ومنكر.» (ابن الجوزي، ١٣٥٨ق: ٤٠/٧ و ٤١)

ومن المعاصرين الذين درسوا شخصية أبي الفرج وكتابه الأغاني، الدكتور محمد أحمد خلف في خاتمة كتابه "أبو الفرج الإصهاني الراوية". يقول الدكتور خلف: «ولقد وقفنا على ما لأبي الفرج من ميول وأهواء فيجب أن نحذر هذه الميول وهذه الأهواء، كلّمنا حاولنا الاعتماد على ما خلف الرجل من مرويات فقد يكون الرجل مضللاً، وقد يكون صاحب غرض وهوى. وليس يخفى أن للأهواء حكمها في التاريخ، وهو حكم قد يملى رغبته لا في ذكر الأخبار فحسب، وإنما أيضاً في الكتمان.»

يُستفاد مما سبق أن أبا الفرج كان ذا علم واسع وثقافة كبيرة وبفضل هذه المكانة تقرب من البويهيين، واتصل بالوزراء والكبراء آنذاك، وتولّى منصب الكتابة في حكومة البويهيين وقد أجلسه "ركن الدولة" على منصة القضاء لمدة أيام، فهو من جهاذة العلم والأدب في عصره.

### كتاب الأغاني

كتاب الأغاني من أمّهات كتب التراث العربي، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة أدبية وتاريخية يتضمّن تراجم وأخبار الشعراء والمغنين وبعض الأعلام والأدباء، كما يتضمّن الأحداث التاريخية التي أثرت في التاريخ العربي.

يذكر الإصهاني في مقدّمته سبب تأليف هذا الكتاب، فيقول: «والذي بعثني على تأليفه، أن رئيساً من رؤسائنا كلّفني جمعه له، وعرفني أنه بلغه أن الكتاب المنسوب إلى إسحاق الموصلي مدفوع أن يكون من تأليفه، وهو مع ذلك قليل الفائدة، وأنه شاك في نسبته، لأن أكثر أصحاب إسحاق ينكرونه، ولأن ابنه حماداً أعظم إنكاراً لذلك ...»



(الأغاني، المقدمة، ١٩٧٠م: ٥/١)، ولكنه لم يذكر لنا في مقدمته من هو الذي طلب منه أن يقوم بتأليف هذا الكتاب وقد اكتفى بهذا القول أن رئيساً من رؤسائه كلّفه بجمعه. وقد ذكر ياقوت الحموي في معجم الأديباء أنّ الإصهاني كان نديماً للوزير المهلبى وقد ألّف كتاب نسب المهالبة وكتاب مناجيب الخصيان وأيضاً ألّف كتابه الضخم الأغاني للوزير أبي الحسن محمد بن الحسن المهلبى، ويذكر ياقوت الحموي أنّ الوزير المهلبى سأل أبا الفرج الإصهاني عن كتابه الأغاني والمدّة التي قضاه في تأليفه فأجاب الإصهاني أنّه ألّفه في خمسين سنة. (ياقوت الحموي، ١٩٨٠م: ١٣ / ١٠٣ و ١٠٦) وذكر ابن خلّكان أنّ: «الصّاحب بن عبّاد كان في أسفاره وتقلّاته يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطلّعها، فلمّا وصل إليه كتاب الأغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه، استغناءً به عنها.» (ابن خلّكان، ١٩٩٤م: ٣ / ٣٠٧) وكتب ياقوت الحموي بخطّه نسخة من كتاب الأغاني في عشر مجلّدات وجمع تراجمه، ونبّه على فوائده. فالأغاني قد ألّف في عصر البويهيين وتناول الغناء منذ الجاهلية إلى عهد الخليفة المعتضد بالله المتوفى سنة ٢٨٩ق. وضمّ بين دفتيه الكثير من الروايات والحكايات العجيبة مما لم تورد في كتب أخرى.

ومن ميزات هذا الكتاب الضخم يمكن الإشارة إلى كثرة الروايات والقصص التي ذكرها الإصهاني عن المغنّين وأهل الطّرب والمجون، وأيضاً قد ذكر الكثير من الأعلام الشعراء والأديباء، كما يشتمل على مواضيع شتى من تاريخ الإسلام، لكن هناك آراء تشكّك في المنهج الذي سلكه الإصهاني في تأليف كتابه هذا وقيّمته الأدبيّة والعلمية. يقول الدكتور محمد غنيمي هلال: «رواية من أخبار عبدالرحمن بن عمّار الشهير بالقس وهيامه بسلامة المغنّيّة أو أخبار عروة بن حزام وحببيته عفراء، فكلّ هذه المشاهد التي يعرضها الإصهاني حول لقاءات بين قس وسلامة، خاصة تلك الأماكن التي تتخفّف فيه المغنّيات من جلّ ملابسهنّ، تجعلنا نرتاب في صحّة هذه الأخبار، أو على الأقل لانعتمد عليها كرواية من تاريخ الإسلام لأنّها لن تتفق مع روح الإسلام وكيف الرّجل يترك زوجته مع رجل آخر وهو يعلم ما يدور بينهما من الحبّ والوجد والشّوق، وهل هذه من تعاليم الإسلام أن يقدم الرّجل امرأته في خلوة مع رجل آخر، يتشاكبان لواعج

الهوى وألم الوجد، فيصوّر الإصفهاني هذه المشاهد بهذه العبارات: «وقد وفد على زوج حبيبتة بالشّام، فأكرمه الزّوج فأحسن مثواه، وخرج وتركه مع عفرأ يتحدّثان ... فلمّا خلوا تشاكيا ...». (هلال، لاتا: ١٩)

ويقول صاحب كتاب السّيف اليماني: «اعتمد أبو الفرج الإصفهاني في كثير من أخباره السّوءاء المظلمة المسمومة على طائفة خبيثة من الرّواة الكذّابين والمجروحين والمطعون عليهم واعتبر أخبارهم موثّقة ولوّث صفحات تاريخنا وأدبنا بالسّخائم والبلايا». (الأعظمي، ١٩٨٨م: ٢٧)

ومن يدقق في هذا الكتاب يرى فيه من الرّوايات الواردة ما ليس لها إسناد موثوق به، ومرد ذلك أن الإصفهاني قد نقل عن رجال لا يوثق بهم وطعن عليهم الكثير من العلماء الأقدمين. وقد ذكر وليد الأعظمي في كتابه الآنف الذكر الكثير من هؤلاء الرّجال.

وأيضاً نرى أن الإصفهاني يروى رواياته على لسان أشخاص وهمية، فيقول على سبيل المثال: سمعتُ رجلاً يقول كذا ... أو حدّثني شيخٌ عن رجلٍ يقول كذا ... أو يقول: قالت جارية، رأيتُ فلانة ترقص ... ومع هذه نرى الكثير من العلماء والمستشرقين اعتمدوا في كتاباتهم عن التاريخ الإسلامي ورجاله على هذا الكتاب.

يقول ابن الجوزي في كتاب المنتظم: ومثله لا يوثق بروايته؛ فإنّه يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر وربّما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل الأغاني رأى كلّ قبيح و منكر. (ابن الجوزي، ١٩٠٠م: ٤٠/٧ و٤١)

ونرى في طيّات هذا الكتاب الضّخم بعض الإساءة إلى آل بيت رسول الله (ص) مثل تلك الرّوايات التي يرويها عن سُكينة بنت الحسين (ع) واجتماعها مع عمر بن أبي ربيعة وأيضاً مجالستها الشعراء، فيذكر الإصفهاني هذه، فيقول: أخبرني علي بن صالح قال: حدثنا أبو هفان، عن إسحاق، عن أبي عبدالله الزبيرى قال: اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف، فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه، فتشوقن إليه وتمنينه... فأرسلت "سكينة بنت الحسين" إليه رسولا وواعدته الصورين، وسمت له الليلة والوقت، وواعدت صواحباتها. فوافاهن عمر على راحلته، فحدّثهن

حتى أضاء الفجر وحن انصرافهن، فقال لهن: والله إنني لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة في مسجده، ولكنني لا أخلط بزيارتك شيئا، ثم انصرف إلى مكة من مكانه، وقال في ذلك:

قالت سكينه والدموع ذوارف      منها على الخدين والجلباب  
ليت المغيرى الذى لم أجزه      فيما أطال تصيدى وطلابى  
كانت ترد لنا المنى أيامنا      إذ لا تُلام على هوى وتصابى  
(الأغاني، ١٩٧٠م: ١ / ١٧١)

وتكرار هذه القصيدة في مواضع مختلفة من هذا الكتاب يلفت انتباهنا ويجعلنا نرتاب في صحّة هذه القصّة. أمّا في موضع آخر يروى لنا الإصفهاني قصة أخرى عن مجالسة سكينه بنت الحسين (ع) مع الشعراء فيقول: أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: أخبرني عيسى بن إسماعيل، عن محمد بن سلام، عن جرير المديني، عن المدائني وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلام. وأخبرني به أحمد بن عبدالعزيز الجوهري، عن عمر بن شبة موقوفا عليه، قالوا: اجتمع في ضيافة سكينه بنت الحسين عليهما السلام، جرير والفرزدق وكثير وجميل ونصيب، فمكثوا أياما، ثم أذنت لهم فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة وقد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: ها أنذا، فقالت: أنت القائل:

هما دلتانى من ثمانين قامة      كما انحط باز أقثم الريش كاسره  
فلما استوت رجلاى فى الأرضِ قالتا      أحى فيرجي أم قتييل نحاذره  
فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا      وأقبلت فى أعجاز ليل أبادره  
أبادر بوابين قد وكلا بنا      وأحمر من ساج تبصّ مسامره

فقال: نعم، فقالت: فما دعاك إلى إفشاء سرّها وسرّك؟ هلا سترتها وسترت نفسك؟

خذ هذه الألف، والحق بأهلك. (المصدر نفسه: ١٦ / ١٦٩ و ١٧٠)

و في مواضع أخرى من هذا الكتاب يروى الإصفهاني روايات أخرى عن سكينه

بنت الحسين عليهما السّلام والتي يرتاب فيها من يطالع هذه القصص الموضوعية، فهو يظهر لنا أنّ سُكينة بنت الحسين (ع) خبيرة بالغناء تحكم بين المغنّين. (المصدر نفسه: ٢ / ٣٦٥) وفي موضع آخر تُرجع سُكينة، ابن سريج إلى الغناء بعد توبته. (المصدر نفسه: ١٧ / ٤٢ ٤٥) فكيف يمكن أن نتأكد من صحّة هذه الروايات؟

والإصفهاني لم يكتف بطعن آل البيت عليهم السلام بل بشتهم دين الإسلام علناً ويفضّل الجاهلية عليه ويعتبرها خيراً من الإسلام (المصدر نفسه: ١٣ / ٢٦٤) وهو يستهزئ بالصلاة (المصدر نفسه: ٤ / ٢٧٧)، ورغم هذا كله يدّعي أنّه من المتشيعين. يقول محمّد عبد الجواد الأصمعي عن كتاب الأغاني: يتبيّن لنا من الروايات التي أوردها أبو الفرج الإصفهاني في كتابه الأغاني أنّه كان قد تساهل فيما نقله من الكتب، أو قد كان اطلاعه لم يكن بشكل كاف وقد نقل مشافهة عن البعض. (الأصمعي، ١٩٥٠م: ١٣٢ وما بعدها)

ونستنتج هنا أنّ أبا الفرج قد جمع بعض ما وصل إليه من الروايات دون العناية بتحقيق صحّتها وحقيقتها وقوعها. إذ نرى كتاب الأغاني كتاباً جامعاً يشتمل على الكثير من الروايات والقصص، أوردها صاحبها كما وصلت إليه، ومن هنا وقع في بعض المزالق والهفوات.

### النتيجة

حاولنا في هذا المقال أن نتحاور مع شخصية أبي الفرج ونكشف الغموض عنها، وأشرنا إلى تباين الآراء وتضارب الأفكار حول شخصيته؛ إذ نرى في آراء الكثيرين أنّ أبا الفرج له شخصيّة علميّة وله أعمال كثيرة، كما أن البعض لا يثقون به. وهناك تناقض في موقفه، فهو أمويّ النّسب ونراه متشيعاً، وهذا شيء غريب وموقف غير مفهوم يحتاج إلى تأمل. لكننا حاولنا أن نبصر التاريخ ونتبصر أحداثه، لأنّ التاريخ ضرورة للحاضر؛ والإصفهاني رغم كثرة علمه وغازاة أدبه قد وقع في بعض المزالق في كتابه الضخم المسمّى بالأغاني والذي اعتبره العلماء كتاباً لا يستغنى عنه أي أديب. ولاغرو؛ فالكتاب يجمع بين دفتيه الكثير من الروايات الصحيحة والضعيفة أو المنحولة.

ونرى في طيّات الكتاب روايات شنيعة تنسب إلى أهل البيت عليهم السلام، الأمر الذي يجعلنا نرتاب أكثر فأكثر في شخصيته وتشيعه وفي صحّة بعض ما نقله في كتابه الأغاني.

## المصادر والمراجع

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. ١٩٠٠م. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. بيروت: دار صادر.
- ابن النديم، لاتا. الفهرست. لاتا.
- ابن خلدون، لاتا. مقدّمة. بيروت: المطبعة الأدبية.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد. ١٩٩٤م. وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان. حققه الدكتور إحسان عباس. بيروت: دار صادر.
- الإصهاني، أبو الفرج. ١٩٧٠م. الأغاني. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين. القاهرة: الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر.
- الأصمعي، محمد عبد الجواد. ١٩٥٠م. الإصهاني وكتابه الأغاني. القاهرة: دار المعارف.
- الأعظمي، وليد. ١٩٨٨م. السيف اليماني في نحر الإصهاني صاحب الأغاني. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر.
- التعالبي، أبو منصور. ١٣٧٥ق. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. القاهرة: لاتا.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. لاتا. تاريخ بغداد. بيروت: دار الكتب العلمية.
- خلف الله، محمد أحمد. ١٩٥٣م. صاحب الأغاني أبو الفرج الإصهاني في الرواية. القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. لاتا: السير. لاتا.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. لاتا: تاريخ الإسلام الكبير. لاتا.
- الفاخوري، حنا. ٢٠٠٥م. الجامع في تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار الجليل.
- مكي، الطاهر أحمد. ١٩٧٧م. دراسة في مصادر الأدب. القاهرة: دار المعارف.
- هلال، محمد غنيمي، لاتا. النقد الأدبي الحديث. القاهرة: لاتا.
- ياقوت الحموي. ١٩٨٠م. معجم الأدباء. بيروت: دار الفكر.